وغيره واما لان اتباع الحديث في مسايل الاصول لا يفيد ذلك او لا يفي به فالامر يرجع الى احد
امرين اما ريبة في الاسناد وان ما فهموه لا يعلم من اللفظ لما فيه من الاحتمال ولا ريب ان هذا
عمدة كل زنديق منافق يبطل العلم بما بعث الله به رسله فتارة يقول لا نعلم انهم قالوه وتارة يقول
لا نعلم ما ارادوا بهذا القول ومتى انتفى العلم بقولهم لم نستفد علما من جهتهم فيتمكن بعد ان
يقول ما يقول امثاله ان يعارض باثار الانبيا وهذا عين الطعن في النبوه ولما بلغ
الامام احمد عن ابن ابي قتيلة انه قال لاصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد وهو ينفض ثوبه
ويقول زنديق زنديق فانه عرف مغزاه وعيب المنافقين للعلما بما جاء به الرسول قديم من المنافقين
الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانهم يدعون القرا فيقولوا ما راينا مثل قرائنا والصحابة
يعلمون ما جاء به وفيه بيان الحجة على بطلان كفر كل كافر وبيان ذلك بقياس صحيح احق واحسن
بيانا من مقاييس اولئك الكفار كما قال تعالى ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا اخبر
سبحانه ان الكفار لا ياتونه بقياس عقلي لباطلهم الا جاءه الله بالحق وجاء من البيان والدليل
وضرب المثل ما هو احسن كشفا للحق من قياسهم وجميع ما يقولونه مندرج في علم الصحابة
والاية ذكرها الله بعد قوله وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا فبين ان من هجر القران فهو من اعدا الرسل
وان هذا الامر لا بد منه الى فعله ويوم يعض الظالم على يديه الى قوله خذولا والله ارسل محمدا صلى
الله عليه وسلم الى العالمين وضرب الامثال فيما ارسله به لجميعهم كما قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا
القران من كل مثل لعلهم يتذكرون فاخبر انه ضربها لجميعهم والالفاظ في المخاطبات تكون بحسب
الحاجات كالسلاح في القتال فاذا كان العدو في تحصنهم على غير ما كانت عليه فارس والروم
كان جهادهم على ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله اطوع وللعبد انفع
كرمي اهل الطايف بالمنجنيق وكاتخاذ الخندق وما امر به صلى الله عليه وسلم فهو من الدين الذي
شرعه الله وان تنازع اولوا الامر في بعضه وسوا فعل على عهده صلى الله عليه وسلم او لا كما فعل بعده
بامره من قتال المرتدين والخوارج المارقين وفارس والروم والترك واخراج اليهود والنصارى
من جزيرة العرب وغير ذلك هو من سنته ولهذا قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الامور بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله الخ وكما ان الله بين في كتابه مخاطبة
اهل الكتاب واقام عليهم الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما حرفوا وبدلوا وصدق بما جاءت به
الرسل حتى اذا سمع ذلك العالم منهم المنصف وجده من ابين الحجج والمحاجة لا تنفع الا مع العدل والا
فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه ويمتنع عن النظر والاستماع وهو المعرض كما ان الاحساس الظاهر
كذلك وطالب العلم يجتهد في طلبه من طرق ولهذا سمي مجتهدا ولهذا قال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب

الا بالتي

الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فالظالم ليس علينا ان نجادله بالتي هي احسن وان حرفوا
الكلام امكن معرفة ذلك كما قال تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين وان ذكروا حجة عقلية
فهمت ايضا وبين ما في القران من ردها كالنسخ قال تعالى قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم
وعلى بعض ما في الاية اعتماد جميع المتكلمين حيث قالوا التكليف اما تابع للمصلحة او للمصلحة وعلى التقديرين
فهو جايز ثم بين سبحانه وهو عدم تحريم الحلال في التورية وقد احلها لاسرائيل وان تحليل لخطاب بين
لحرمة الاصل حتى لا يكون نسخا كما ادعاه بعضهم والكلام الذي يخالف القران او يوافقه من كلام اهل
الكتاب والصابيين والمشركين فالقران فيه تفصيل كل شي كما قال تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شي ومعلوم ان الامة مامورة بتبليغ القران لفظه ومعناه وتبليغه لغير العرب بالترجمة
واذا تدبر المومن العليم ساير مقالات الفلاسفة وغيرهم من الامم وجد القران والسنة كاشفا لاحوالهم
مبينا لحقهم مميزا بين حق ذلك وباطله والصحابة اعلم الخلق به وهم اقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين
كما قال ابن مسعود من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تومن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم كانوا ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة
دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم فاخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال
عمق العلم وهذا قليل في المتاخرين كما يقال من العجايب فقيه صوفي وعالم زاهد فان اهل بر القلوب
يقترن بهم كثيرا عدم المعرفة التي توجب النهي عن الشر والفساد واهل التعمق في العلم قد يدركون
من معرفة الشرور والشبهات ما يوقعهم في الغي والضلال واكثر المتعمقين في العلم من المتاخرين يقترن
به التكلف المذموم من المتكلمين والمتعبدين والله هو الغفور والعمل بلا علم وطلب ما لا يدرك خلافا
لما عليه الصحابة وهذا من منة الله على هذه الامة كما انه اثر المسيح اهب لهم من علمي وحلمي وهذا من خواص
متابعة الرسول فمن كان له اتبع كان فيه اكمل كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم
كفلين من رحمته الى اخر الاية ثم ذكر حديثي ابي موسى وابن عمر في فضل الكتاب والسنة على ان الله يوتي اتباع
الرسول من فضله ما لم يوته لاهل الكتابين فكيف بغيرهم والمقصود ذكر الطريق العلمية والعملية فمتى كان
غير الرسول قادرا على علم ذلك او بيانه او محبته لعادته فهو اعلم بذلك واحرص على الهدى واقدر منه على بيانه
١٣٢ اعلم ان الله سبحانه علم ادم الاسماء كلها وميز كل مسمى باسم يدل على ما يفصله من الاسم المشترك وما
يخص دون ما سواه ويبين به ما يرسم معناه في النفس ومعرفة حدود الاسما واجبة لان بها قيام مصلحة
الادميين في المنطق الذي جعله الله رحمة لهم لاسيما حدود ما انزل الله من الاسما كالخمر والربا فهذه الحدود
هي المميزة بين ما يدخل في المسمى وما يدخل عليه من الصفات وبين ما ليس كذلك وهذا ذم الله من سمى الاشيا
باسما ما انزل الله بها من سلطان كالهة الاوثان فالاسماء المنطقية سمعية اما نفس تصور معانيها
في الباطن ففطري يعرف بالحس الباطن والظاهر وبادراك الحس وشهوده يبصر الانسان الاشيا
بباطنه وظاهره وبسمعه يعلم اسماها وبفواده يعقل الصفات المشتركة والمختصة والله سبحانه

الثاني عشر

Copyright © King Saud University